القسم بالتاء بين مقام التعجب والمقامات الأخرى في القرآن الكريم

أ.م.د. عبدالكريم عبد أحمد قاسم
جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

Oath by Ta`a between the exclamation point and other points in the Holy Qur`an

A.prof.dr. ABDULKAREEM ABED AHMED
TiKrit University
Callege of Education for Humanities

ملخص باللغة العربية

فكرة البحث تقوم على دراسة أسلوب القسم في القرآن الكريم من خلال حرف القسم بالتاء وقد ذكر العلماء بأن القسم بالتاء مقيّد بلفظ الجلالة الله وإذا جاء مع غير لفظ الجلالة فيكون على سبيل الشذوذ . وقد ذكر العلماء أن القسم بالتاء يراد به معنى التعجب ، ولا يقسم به إلّا لأمر متعجب منه وقد جاء هذا القسم في القرآن الكريم في تسعة مواضع أشار العلماء بأن جميعها يراد به التعجب ، وقد كان لمعنى مقام التعجب أثر في مقامات أخرى تمّ توضيحها في الدراسة التطبيقية في البحث ، وقد ظهرت هذه المقامات من خلال القرائن اللفظية والقرائن المعنوية الموجودة في سياق الآيات الكريمة التي سبقت آية القسم بالتاء والآيات التي لحقتها ، وقد تبين من البحث أن هذه المقامات تتعاقب فيما بينها لتعطي المعنى المراد الذي يحدده السياق

Summary Oath by Ta`a between the exclamation point and other points in the Holy Qur`an .
The idea of the research is based on studying the method of Oath in the Holy Qur`an ,through the letter Ta`a . Scientists have mentioned that swearing by Ta`a is restricted to the word God , and if it is come with a word other than the word of majesty ,it is anomaly .
Scholars have mentioned that the Oath by Ta`a is intended to be the meaning of wonderment , and it is not sworn by it except for something that is not astonishing and it is not sworn by it for something that is astonishing about it .
This Oath came in the holy Qur`an in nine places . The scholars indicated that all of them are intended to be exclamation , and the meaning of exclamation has had an impact on other meanings that were clarified in the applied study in the research . These meanings appeared the verbal and semantic clues that exist in the context of the noble verses that the Oath with Ta`a came with the context of verses that preceded the verse in the Ta`a and verse that followed it .It became clear from the research that these meanings alternate with each other to give the intended meaning determined by the context .

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على صاحب البيان وأفصح من نطق بالضاد سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين : أمَّا بعد فأن مما لا يختلف فيه اثنان أن القرآن الكريم كلام الله البليغ الذي أعجز أهل البلاغة والبيان الأمر الذي جعلهم أسارى أمام فصاحته ودقة نظمه وتحداهم بأنهم لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، ومن هنا كانت عناية العلماء به فتناولوه بالتأليف من جوانب مختلفة فاعتنوا بتفسيره وإعرابه وكشف أسراره ، وكان من بين سر نظمه أن يتنوع فيه استعماله لحروف القسم وكان من بينها القسم بالتاء الذي يراد بها التعجب كما ذكر العلماء إذ أنبنى على هذا المقام مقامات أخرى تمكنت من الوصول اليها من سياق الآية الكريمة وكذلك من خلال السباق واللحاق لتظافر القرائن في كشف المقامات الأخرى التي جاءت على أثر مقام التعجب ، وقد استوفت فكرة البحث دراسة جميع المواضع التي ورد فيها القسم بالتاء في القرآن الكريم والبالغة تسعة مواضع لتكون فكرة البحث التي كانت تجول بخاطري من سنين ماضية غير أن مشيئة الله تعالى جعلتها تظهر الآن تحت عنوان (القسم بالتاء بين مقام التعجب والمقامات الأخرى في القرآن الكريم) والتي جاءت دراسته متكونة من تمهيد ذكرت فيه أسلوب القسم في العربية ، وتعاقب المقامات ، وأثر القرائن اللفظية والمعنوية في علم السياق ، وبعده اعقبت المواضع التي ورد فيها القسم بالتاء في القرآن الكريم بحسب ترتيبها في القرآن الكريم من حيث تسلسلها في السورة الواحدة أو السور القرآنية ، معتمدا على ذلك بأهم المصادر والمراجع التي اعتنت بالقرائن التي تكشف من خلالها مراد السياق القرآني كان في مقدمتها التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، وتفسير أبي السعود ، ونظم الدرر ، حتى أعقبت هذه الدراسة خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها . ختاما لا ادعي الكمال في كوني قد أحطت بكل جوانب البحث إنما هذا هو جهد المقل ، فالشكر كل الشكر لمن يقرأه ويبين للباحث مواضع ضعفه ، هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين .

التمهيد : أسلوب القسم وتعاقب المقامات

أولا : التعريف بأسلوب القسم

أسلوب القسم من أساليب النحو العربي يراد به تثبيت الحكم وإزالة الشك لدى المخاطب ، والغرض منه تأكيد الكلام الذي يأتي بعده من إثبات أو نفي[1] ، ويتألف أسلوب القسم من ثلاثة أركان وهي :

أولا : المقسم به وهو ((كل اسم معظم إمّا لعظمته في ذاته وإمّا لكونه عند المقسم عظيما))[2] ثانيا : المقسم عليه وهو جملة جواب القسم وهي جملة خبرية وغير تعجبية ، والغالب فيها لا محل لها من الإعراب ، وعندها يكون القسم إخباريا ، وتكون جملة جواب القسم جملة فعلية

أو اسمية ، أما إذا كانت جملة فعلية فقد تكون مصدرة بفعل ماض أو مصدره بفعل مضارع وتكونا مثبتة أو منفية ، فإذا كانت مصدره بفعل ماضي متصرف ومثبت فتقترن باللام وقد ، ويجوز الاقتصار على أحدهما أو تجردها منهما ، أما إذا كان الفعل ماض غير متصرف منفيا فيدخل عليها أحد هذه الحروف النافية (ما ، لا ، إن) إذا كانت جملة جواب القسم مصدرة بفعل مضارع مثبت فالغالب اقتران الفعل المضارع باللام ونون التوكيد معا ، ويجوز الاقتصار على أحدهما ، أمّا إذا كانت مصدرة بفعل مضارع منفي فلا يزاد عليها شيء غير حروف النفي . أما إذا كانت جملة جواب القسم جملة اسمية فقد تكون مثبتة أو منفية ، فالمثبتة الأحسن فيها اقترانها بحرفي (إن ولام الابتداء) ويجوز الاقتصار على أحدهما ، في حين إذا كانت جملة جواب القسم جملة اسمية منفية فلا يزاد عليها سوى أحد حروف النفي[٣] .

ثالثا : حروف القسم وهي (الباء والواو والتاء واللام ومن) وقد ذكر العلماء أن أصل حروف القسم هو الباء ؛ لأن فعل القسم يظهر معه دون غيره من أحرف القسم الأخرى ، وتجر الاسم الظاهر والمضمر[٤] ، أما الواو فتجر الظاهر فقط ((لكون الواو بدلا لا تدخل على المضمر لأنه بدل المضمر فلم يجتمع بدلان))[٥] ، وأما حرف القسم التاء فهي مختصة بلفظ الجلالة فهي ((لا تجر غيره لا ظاهرا ولا مضمرا))[٦] ، وقد شذ جرها لبعض الأسماء وقد سمع منها في قولهم : تالرحمن ، وترب الكعبة ، وتربي ، وتحياتك[٧] . وفيهن قيل[٨] :

ثُمَّ تَجُرُّ الاِسْمَ بَاءُ الْقَسَمِ وَوَاوُهُ وَالتَّاءُ أَيْضًا فَاعْلَمِ

لَكِنْ تُخَصُّ التَّاءُ بِاسْمِ اللهِ إِذَا تَعَجَّبْتَ بِلاَ اشْتِبَاهِ

أما اللام فهو حرف قسم يراد به التعجب قال سيبويه : ((ولا تجيء اللام إلا أن يكون فيها معنى التعجب))[٩] ولم يرد القسم به في القرآن الكريم ، وقد استشهد له العلماء بقول أبي ذؤيب الهذيلي[١٠] : [البسيط]

لله يَبْقَى على الأيام ذو حيدٍ بمشمخرٍّ به الظَّيان والآسُ

وقد ذكر العلماء حرفا خامسا يراد به القسم وهو (مِن)[١١] ، قال فيه ابن يعيش : ((من ربي لأفعلن ... واختصت بربي اختصاص التاء بالله فلا يقولون : مِن الله لأفعلن))[١٢] .

ثانيا : تعاقب المقامات

قبل البدء في الحديث عن دور المقام في كشف المعنى لابد من معرفة مدلوله ومدى عناية العلماء به ، فالمقام هو ((الحالة التي يقال فيها الكلام وذلك كأن يكون المقام مقام حزن وبكاء أو مقام فرح وسرور أو مقام تكريم أو مقام ذم أو غير ذلك))[١٣] ، ومن خلال هذا التعريف يتضح بأن المقام هو محصلة للظروف التي تحيط بالمتكلم من ملابسات نفسية وعاطفية ونوع الخطاب لكي يكون له أثر في الكلام اللغوي ، وعلماء العربية قد اعتنوا بالمقام كثيرا ولا سيما أهل البلاغة حتى أن جلّ فكرهم على المقام كان يحوم حول المقولة الشهيرة (لكل مقام مقال) وأود أن أذكر نصوصا لعلمائنا على الرغم من طولها لكنها تعضد لنا مدى عنايتهم بالمقام ، فالجاحظ يبين عنايته بالمقام في قوله : ((ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات))[١٤] ، ومثله السكاكي قد أعتنى بالمقام عناية واضحة وقد عبّر عنها بقوله : ((لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة التشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل ، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار جميع ذلك معلوم لكل لبيب وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر ، ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام))[١٥] ، وقد بين الزركشي أهمية المقام في معرفة الإعجاز القرآني بقوله : ((مِمَّا يَبْعَثُ عَلَى مَعْرِفَةِ الْإِعْجَازِ اخْتِلَافَاتُ الْمَقَامَاتِ وذكر في كل موضع ما بلائمه وَوَضْعُ الْأَلْفَاظِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مَا يَلِيقُ بِهِ وَإِنْ كَانَتْ مُتَرَادِفَةً حَتَّى لَوْ أُبْدِلَ وَاحِدٌ مِنْهَا بِالْآخَرِ ذَهَبَتْ تِلْكَ الطُّلَاوَةُ وَفَاتَتْ تِلْكَ الْحَلَاوَةُ))[١٦] ، ومن أجل معرفة مدى أثر تعاقب المقامات في بيان المعاني أود أن أسوق الأمثلة من أجل توضيح تعاقب المقامات في السياق القرآني الواحد كما في مقام التكريم مع أهل الجنة في قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ ﴾ [الزمر] ومقام الذل والهوان مع أهل النار في قوله تعالى :﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ

كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ [الزمر] من خلال التباين بين الآيتين الكريمتين في استعمال (واو الحال) إذ دخلت مع آية أهل الجنة دون آية أهل النار لتعطي ملمحا بيانيا يختلف عن الآية التي خلت منها وقد وضحه أكثر من واحد فالدماميني ذكر بيان الملمح قائلا : ((أراد أنَّ جهنم محبس لأهلها ومن عادة المحبسين أن لا يُفتح إلا للداخل فيه أو الخارج منه ولهذا قارن فتحها مجيئهم ، وأما الجنة فلأن من فيها من الحور والولدان يتشوقون إلى أهلها ويتلعون إلى لقائهم فيفتحونها قبل مجيئهم استبشاراً لهم وتطلعاً إليهم كما هو العادة في مجالس الأُنس والسرور))[١٧] ، فكان السر اللطيف التي اجتلبت من أجله واو الحال مع أهل الجنة مقام التكريم ؛ وذلك أن الأكابر تفتح لهم الأبواب التي يقصدونها قبل وصولهم إكراماً لهم وصيانة من وقوفهم منتظرين فتحها ، إذ المهان لا تفتح له الأبواب إلا بعد وقوفه وامتهانه[١٨] ، فزيادة الواو في وصف أهل الجنة وحذفها في وصف أهل النار ناسب أن تكون أبواب الفرح والسرور مفتحة لانتظار من يجيء إليها بخلاف أبواب السجون[١٩] ؛ لأن أبواب جهنم لا تفتح لهم حتّى يصلوا إليها وفي وقوفهم قبل فتحها مذلة لهم بخلاف أهل الجنة فإنهم يجدونها مُفتحة أمامهم[٢٠]، والحكمة في أن أبواب الجنة مفتحة قبل مجيء أهلها بخلاف أهل النار أنّ أهل الجنة جاؤوها وقد فتحت أبوابها ليستعجلوا السرور والفرح من خلال رؤيتهم إلى الأبواب بخلاف أهل النار فإنهم يأتونها وهي مغلقة فيكون أشد لحرها والوقوف على الأبواب المغلقة فيه نوع من الذل والهوان ؛ لذلك صِينَ أهل الجنة من هذا من خلال فتح الأبواب لهم قبل

مجيئهم ، ولو جاؤوا والأبواب مغلقة لأثر انتظار فتحه في كمال الكرم[٢١] ، وهكذا أفادت الواو الحالية تعاقب

المقامات في السياق القرآني بين مقام التكريم والترحيب في سوق أهل الجنة بلطف ، وحذفها أفاد مقام الذل والهوان والانتقام في سوق أهل النار بعنف وقسوة . ومن تعاقب المقامات في السياق الواحد مقام الأنس ومقام الوحشة من خلال صيغة الجمع والأفراد في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ [النساء] إذ جاء التعبير القرآني بجانب الطائعين بالجمع فقال تعالى : (خالدين) وفي جانب العاصين بالإفراد فقال تعالى : (خالدا) والفرق بين الجمع والأفراد لسر عظيم وهو ((في صيغة الجمع من الإشعار بالاجتماع المستلزم للتأنس زيادة في النعيم ، وما في الإفراد من الإشعار بالوحدة المستلزم للوحدة زيادة في التعذيب))[٢٢] ، فكان جمع خالدين في الطائعين ؛ لأن أهل الطاعة أهل الشفاعة وإذا شفع لغيره دخل الجنة مع المشفوع له فناسب ذلك الجمع ، وكان إفراد خالداً في العاصين ؛ لأنهم لا يشفعون فلا يدخل بهم غيرهم النار فيبقى وحيداً فناسب ذلك الإفراد[٢٣] ، فضلاً عن هذا ففي الجمع تبشيرٌ بكثرة الواقفين عند هذه الحدود[٢٤] ، قال أبو السعود : ((لعل إيثار الإفراد ههنا نظراً إلى ظاهر اللفظ ، واختيار الجمع هناك نظراً إلى المعنى للإيذان بأن الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع أجلب للأنس كما أن الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد أشد في استجلاب الوحشة))[٢٥] ، فكأن الله سبحانه وتعالى أنعم على الطائعين بنعمتين ، نعيم المسكن وهو الجنة وما فيها ، ونعيم المأنس في اجتماعهم مستمتعين فيما بينهم بهذا الأنس ، وهذا من أعلى نعيم الجنة ، وبعكسهم العاصون فكأنه عذبهم عذابين ، عذاب المسكن وهو نار جهنم وأهوالها ، وعذاب الوحدة التي هو فيها فتزيد عليه الوحشة التي لا يشاركه أحد فيها ليخفف عنه ما هو فيه ، فناسب الاستعمال القرآني بين الجمع والإفراد المقام الذي يبين حال موقف أهل الدارين ، وشتان ما بينهما من إكرام وتقدير لأهل الجنة ، والذل والهوان والوحشة لأهل النار .

ثالثا : القرائن اللفظية والمعنوية وأثرها بعلم السياق

الذي يعنينا من هذا مفهوم القرينة والسياق ، فالقرينة هي ((الدلالة اللفظية والمعنوية التي تمحض المدلول وتصرفه الى المراد منه مع منع غيره من الدخول فيه))[٢٦] ، ومن هذا التعريف يتضح بأن القرينة تنقسم الى لفظية ومعنوية ، ومنهم من توسع في بيان عدد القرائن[٢٧] غير أن فحواها ينحصر في النوعين المذكورين ، أما السياق فهو ((مجرى الكلام وتسلسله واتصال بعضه ببعض))[٢٨] ، ومن هذا نفهم بأن السياق هو العلاقات المتوافرة والتي تحيط بالكلام من سباق ولحاق لتكشف الغرض المراد من النص الذي دعا المتكلم الى القول فيه ، وقد كانت للعلماء عناية كبيرة بالقرائن والسياق وقد ذكر هذا العلماء ، فابن دقيق يبين أهمية القرائن والسياق قائلا : ((أما السياق والقرائن فانها الدالة على مراد المتكلم من كلامه وهي المرشدة الى بيان المجملات وتعيين المحتملات))[٢٩] ، وقال الزمخشري في أهمية السياق قائلا : ((دلالة السياق فانها ترشد الى تبين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته))[٣٠] ، وقد تتظافر القرائن فيما بينها لتكشف المعنى المراد من السياق

وذلك من خلال قرائن السباق واللحاق ، وأود ذكر أمثلة في أهمية القرائن ودورها في الكشف عن المعنى الذي يطلبه السياق ، فمن القرائن اللفظية التي تكشف المعنى السياقي قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ ﴾ [الرحمن] ، فمن خلال قرينة العطف اللفظية وعطف الشجر على النجم اتضح أن دلالة النجم المرادة في السياق هي نوع النبات الذي لا ساق له وليس الكواكب الموجودة في الفلك ، ومن القرائن المعنوية التي توضح ما يريده السياق من معنى قوله تعالى : ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩ ﴾ [الدخان] ، فظاهر السياق للمدح غير أن المراد من السياق هو خلاف مدلوله فالمراد منه التهكم بانه الذليل المهان كما بينت ذلك القرائن من خلال السباق واللحاق في سياق الآية الكريمة لقوله تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٤٧ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ۝٤٨ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ۝٥٠ ﴾ [الدخان] .

أولا : أثر مقام التعجب في مقام التبرئة والاستعفاف

﴿ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ۝٧١ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ۝٧٢ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ۝٧٣ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ۝٧٤ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٥ ﴾ [يوسف]. جاءت هذه الآية الكريمة في سياق العودة الثانية لأولاد سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ من مصر بعد أن عمَّ بلادهم القحط والجوع بعدما اكتال لهم عزيز مصر سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ ما يحتاجونه من المؤونة وفي أثناء عودتهم تعرض لهم جُند عزيز مصر بتهمة سرقة صواع الملك الأمر الذي جعلهم يتعجبون مع الإنكار الشديد لهذه التهمة التي لحقتهم فأظهروا هذا متعجبين من خلال قسمهم بحرف القسم التاء دون أحرف القسم الأخرى فهي لا يقسم بها إلا مع لفظ الجلالة فجعلت فيما هو أحق بالقسم[٣١] ، فكان قسمهم بقوله تعالى : (تالله) وفي هذا القسم ((معنى التعجب مما أضيف إليهم))[٣٢] ، والمراد من هذا القسم هو ((ما أعجب حالكم أنتم تعلمون علما جليا من ديانتنا وفرط أمانتنا أننا بريؤون مما تنسبون إلينا فكيف تقولون لنا إنكم لسارقون))[٣٣] ، ومما انبى على هذا المقام مقام آخر وهو مقام التبرئة مما لحق بهم فكانت هناك قرائن عديدة تظافرت في إبراز هذا المقام في مقدمتها نفيهم للسرقة كان أبلغ من نفيهم للإفساد فجاء هذا في التعبير القرآني على لسانهم (وما كنا سارقين) ولم يقولوا : (وما جئنا لنسرق) ؛ لأن ((السرقة وصف يتعير به ، وأمّا الإفساد الذي تفوه أي التجسس فهو مما يقصده العدو على عدوه فلا يكون عارا ولكنه اعتداء في نظر العدو))[٣٤] ، لذا كان قولهم (وما كنا سارقين) ((لزيادة التبري مما قرفوهم به والتنزيه عن هذه النقيصة الخسيسة والرذيلة الشنعاء))[٣٥] ، ومن القرائن التي تظهر مقام التبرئة الجملة الاعتراضية (لقد علمتم) إذ أفادت التقرير في إثبات براءتهم عن الإفساد وبعدهم عن تهمة السرقة[٣٦] ، أي ((إنكم علمتم هذا منّا ونحن مع علمكم به نقسم بالله على صدقه))[٣٧] ، ومن القرائن التي توضح مقام التبرئة دخول (قد) على الفعل الماضي بعد أن دخل عليها اللام لإرادة التحقيق من الأمر والذي فيه دلالة على التبرئة والتنزيه مما حصل لهم من تهمة السرقة فجاء التعبير القرآني بقوله تعالى : ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم ﴾ ولم يقل : (تالله علمتم) ، ومن قرائن مقام التبرئة في الآية الكريمة ما حصل في التعبير القرآني من تقديم وتأخير في قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ۝٧٣ ﴾ وتقدير هذا التقديم والتأخير هو (تالله ما كنا سارقين وقد علمتم) حيث أفاد هذا التقديم معنى التبرئة بحيث ((تكون اليمين واقعة على فعلهم لا فعل غيرهم))[٣٨] ، وفي مجيء فعل العلم في قوله تعالى : (لقد علمتم) بدلا من فعل المعرفة حيث أنهم لا يقولوا (لقد عرفتم) مستشهدين بذلك بعلمهم حيث أفاد استعمال هذا الفعل بأنكم ((علمتم منّا التحري بالإصلاح والتعفف عند دخولنا بلاد مصر وهم قالوا هذا لأنهم ((ردوا الدراهم ولم يستحلوها فالمعنى لقد علمتم أنا رددنا عليكم دراهمكم وهي أكثر من ثمن الصاع فكيف نستحل صاعكم ... ولأنهم لما دخلوا مصر كعموا أفواه إبلهم وحميرهم حتى لا تتناول شيئا وكان غيرهم لا يفعل ذلك ... وأن أهل مصر كانوا يعرفونهم أنهم لا يظلمون أحدا))[٣٩] ، ولم يتوقف مقام التبرئة بحدود سياق آية القسم بالتاء ولكنه ظهر واضحا مع السوابق واللواحق ، ففي سابقة آية القسم بالتاء وعندما ناداهم المنادي بأنهم يفقدون صواع الملك ونعتهم بالسرقة جاء التعبير القرآني على لسان إخوة يوسف بقوله تعالى﴿ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴾ حيث أن إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ أقبلوا على جيش العزيز وهذا ما يؤكد براءتهم ولو كانوا سارقين بمجرد سمعهم بالنداء من قبل المنادي لهربوا فرارا غير أنهم كانوا واثقين من أنفسهم من عدم السرقة فأقبلوا عليهم وقالوا لهم ماذا تفقدون ، وفي الآية اللاحقة لآية القسم بالتاء أيضا ما يعضد لنا مقام التبرئة فقوله تعالى

: ﴿ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥ ﴾ تقديره جزاؤه استبعاد أو استرقاق من وجد في رحله فهو كناية على الاستبعاد وفي ذكر هذه الكناية بدلا من التصريح إثبات الحكم وجعله آكد وأبلغ وأشد إذ أفادت معنى التوكيد[٤٠] وبهذا يعضد مقام التبرئة فضلا عن هذا ففي إقامة المظهر مقام المضمر تبرئة لإخوة يوسف ـ عليه السلام ـ من تهمة السرقة حيث جاء التعبير القرآني بقوله تعالى : (فهو جزاؤه) ، ولم يأت التعبير القرآني (فهو هو) لأن في إقامة الظاهر مقام المضمر تقريرا للحكم وزيادة في بيانه وتأكيدا بما يستحق السارق وأخذه بنفسه[٤١] .

ثانيا : أثر مقام التعجب في مقام التعنيف

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦ ﴾ [يوسف

سياق الآية الكريمة في بيان حال سيدنا يعقوب بعد أن ذاق الأمرّين مما أصابه من ألم الفراق الذي طال بينه وبين ابنه سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ وما حدث لابنه الآخر بنيامين الذي فقده بتهمة السرقة الذي كان يؤنسه ويسد به ذلك الألم الأليم مما زاده ذلك حزنا فوق حزنه ومعاناة فوق معاناته ، وهذا الأمر يظهر عليه مقام التعجب من قبل أهل سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ فأقسموا بالتاء فقالوا له : ﴿ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ ﴾ إذ له أثر واضح في مقام التعنيف مع سابقتها ولاحقتها في السياق القرآني ويمكن بيان هذا من خلال تظافر القرائن التي جاءت في التعبير القرآني كان في مقدمتها القسم بالتاء في قوله تعالى (تالله) حيث أتى التعبير القرآني بهذا القسم وهو أغرب ألفاظ القسم بالنسبة إلى القسم بالواو والتاء ؛ لأنها أقل استعمالا من أختيها ـ الباء والواو ـ وهي أبعد في الإفهام بالنسبة للعامة[٤٢] ، كذلك المجيء بالفعل (تفتؤا) ودلالته (لا تزل) حيث جاء التعبير القرآني بهذا الفعل لما فيه من معنى التعنيف فهو يأتي للجحد الذي يتولد من التعجب إذ يقال : ((ما زلت أفعله وما فتئت أفعله وما برحت أفعله ولا يتكلم بهن إلا مع الجحد))[٤٣] ، ومن القرائن التي تعضد مقام التعنيف المترتب على مقام التعجب حذف حرف النفي من الفعل (تفتؤا) وكان القياس النحوي أن تذكر غير أن المقام لا يحتمل ذكرها ؛ لأن أبناء سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ كانوا في حال تعجب مما حصل لأبيهم وهذا الحذف جاء ((لضيق المقام النفسية عند إخوة يوسف قد بلغت ذروتها في هذا الموضع))[٤٤] حيث ضاقت بهم الأحوال متعجبين مما حصل لأبيهم من تدهور حاله عند فقدان أخيهم ، فكان ((حذف حرف النفي وهو خلاف الأصل يأتي متلائما مع هذا السياق الغريب ويرمز في خفاء إلى حاجتهم وهو نسيان يوسف وإبعاده من قلب أبيهم الذي ضاق بهم وتولى عنهم من أجل يوسف))[٤٥] ، ويمكن أن نستدرج مقام التعنيف من خلال مجيء التعبير القرآني بقوله (حرضا) ودلالتها في أصل الوضع اللغوي كما قال ابن فارس : ((الحاء والراء والضاد أصلان أحدهما ثبت والآخر دليل الذهاب والتلف والهلاك والضعف وشبه ذلك))[٤٦] ، وقد جاء الحرض في سياق الآية الكريمة ليدل على ((معناه فاسد لا عقل له فكأنهم قالوا على جهة التعنيف له أنت لا تزال تذكر يوسف الى حال القرب من الهلاك))[٤٧] ، وقد عبر السيوطي عن هذه القرائن التي يراد بها تعنيف سيدنا يعقوب من قبل أبنائه قائلا : ((أتى بأغرب ألفاظ القسم وهي التاء فأنها أقل استعمالا وأبعد من أفهام العامة بالنسبة الى الباء والواو وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار فان (تزال) أقرب الى الإفهام وأكثر استعمالا منها ، وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو الحرض))[٤٨] ، فضلا عن هذا فقد جاء خبر (تكون) على هيأة المصدر والأصل فيه هو وصف لحال سيدنا يعقوب حلّ محل خبر (تكون) بعد أن حذف خبرها وتقديره (ذو حرض) والمجيء بالصفة على هيأة المصدر على قصد المبالغة في التعنيف فتحول المصدر بهذا الوصف الى معنى الذات[٤٩] ، وكذلك المجيء بحرف الجر (حتى) بدلا من (الى) في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾ ففيه من معنى التعنيف ما لا يخفى وقد بين هذا ابن عاشور قائلا : ((وفي جعلهم الغاية الحرض أو الهلك تعريض بأنه يذكر أمرا لا طمع في تداركه فأجابهم بأن ذكره يوسف ـ عليه السلام ـ موجه الى الله دعاءً بأن يرده عليه))[٥٠] ، وكذلك المجيء بحرف العطف (أو) دون الواو والفاء في قوله تعالى : ﴿ أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴾ ؛ لأن الأمر ليس فيه من الترتيب من شيء بل يوحي بأنهم في حال تعنيف لسيدنا يعقوب سوف يقوده هذا الحال الى الهلاك ، وإذا ما تتبعنا السياق السابق لآية القسم بالتاء واللاحق لها نلحظ بوضوح أثر مقام التعجب في مقام التعنيف حيث جاء التعبير القرآني بلفظ (أشكو بثي) والبث هو أشد الحزن وسمي بالبث ؛ لأن الحال الذي يصير بصاحبه لا يمكن كتمه لذلك يبثه ويظهره[٥١] ، وأكثر ما يكون هذا الاستعمال مع المكروه[٥٢] ، وهذا ما يتناسب مع مقام التعجب الناتج من مقام التعنيف ، وكذلك يظهر مقام التعنيف من خلال عطف العام على

الخاص في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ ﴾ حيث أن الحزن هو أشد الهم[٥٣] ، وفي نداء سيدنا يعقوب بقوله : (يا أسفي) نداء خرج الى معنى الدعاء ليخرجه من الحال الذي هو فيه فقوله (((يا أسفي على يوسف) تعريض بدعاء الله أن يزيل أسفه برد يوسف ـ عليه السلام ــ إليه لأنه كان يعلم أن يوسف لم يهلك ولكنه بأرض غربة مجهولة))[٥٤] ، وكان في إضافة الأسف إلى نفسه من معنى التعنيف الذي ناله من أهله وهو أشد الحزن والحسرة الى نفسه[٥٥] ، ولم يحصل مثل هذا من شخص حتى نتج مما لاقه من ألم ، وكذلك في إبدال ياء المتكلم ألفا للخفة فكان فيها متنفسا من الحال الذي به سيدنا يعقوب من الهموم التي لحقت به من جرّاء فقدان ولديه ، وكذلك المجيء بالكناية دون التصريح في قوله تعالى : ﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ ﴾ فهي كناية على عدم الإبصار فالكناية أفادت معنى التعجب الذي وصل اليه سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ من ابيضاض عيناه الذي حصل له كل هذا من جرّاء فقد ولده يوسف[٥٦] ، فضلا عن هذا فالمجيء بصيغة المبالغة في قوله : (كظيم) فهو مبالغة لاسم الفاعل كاظم ودلالته على الإمساك النفسي أي كاظم للحزن لا يظهره بين الناس ويبكي في خلوته وهذا قد جرى عليه مما ناله منهم حتى تولى عنهم[٥٧] .

ثالثا : أثر مقام التعجب في مقام الاستغراب

﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يوسف]سياق الآية الكريمة في بيان حال أولاد سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ عند لقائهم مع أخيهم سيدنا يوسف ــ عليه السلام ـ بعد عودتهم الى بلاد مصر ليزودهم بالمؤونة والطعام للمرة الثانية وفي حينها عرفوا سيد مصر هو أخوهم يوسف ــ عليه السلام ــ الذي باعوه بثمن بخس بعد أن ألقوه في غياب الجب فما كان أن يظهر منهم إلا التعجب عند التعرف عليه حيث ظهر مقام التعجب جليا في سياق الآية الكريمة من خلال الاستعمال النحوي فالقسم بالتاء والتوكيد بـ (قد) و (اللام) لقربه من الحال وهذا الأمر يتوقف على التعجب ؛ لأنه قائم على الحين وليس على بعد المدّة الزمنية التي تذهب التعجب قال ابن هشام : ((ان القسم إذا أُجيب بماض متصرف مثبت فان كان قريبا من الحال جيء باللام وقد جمعيا نحو : ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا ﴾ ، وإن كان بعيدا جيء باللام وحدها))[٥٨] ، ويظهر مقام الاستغراب على سياق الآية الكريمة من خلال الاستعمال القرآني للفظ الإيثار فهو لفظ يظهر فيه معنى التفضيل لأحد النفسين على الآخر[٥٩] فهو ((لفظ يعم جميع التفضيل وأنواع العطايا))[٦٠] ، فكان نتيجة استغرابهم من الحال الذي فيه سيدنا يوسف من الرفعة والتفضيل والمكانة العالية قالوا بهذا اللفظ حتى يتناسب مع سياق الموقف الذي هم فيه وهم متعجبون ، ويظهر مقام الاستغراب على أثر مقام التعجب في سياق الآية الكريمة إيثار استعمالهم لاسم الفاعل من الثلاثي المجرد (خطأ) على المزيد (أخطأ) في قوله تعالى :﴿ وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ وفي هذا الاستعمال فرق دلالي واضح فـ ((خطئ يخطأ وهو المتعمد للخطأ والمخطئ من أخطأ وهو الذي قصد الصواب فلم يوفق إليه))[٦١] ، ففي هذا التعبير دليل على خطأهم المتعمد الذي صدر منهم نتيجة استغرابهم فجاء قولهم بـ (خاطئين) بدلا من (مخطئين) وفي استعمال هذا التعبير ((من الاستنزال لإحسانه عليه السلام والاعتراف بما صدر منهم في حقه مع الإشعار بالتوبة ما لا يخفى))[٦٢] ، ولا يظهر منهم كل هذا ولا يحصل لولا كونهم في عجب لقد كان له أثر استغراب من حال أخوهم ـ سيدنا يوسف عليه السلام ـ ومما يعضد أثر مقام التعجب في مقام الاستغراب في سياق الآية الكريمة تخفيف (إن) المؤكدة والمجيء باللام الفارقة التي يراد بها التوكيد بقوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ من قوة استغرابهم فقد ضاق بهم المقام والحال الذي هم فيه فخففوا النون وتوكيد فعلهم باللام الفارقة ولاستغرابهم لما ظهر منهم هذا ، وإذا ما دققنا النظر في سياق الآية التي سبقت القسم بالتاء والآية اللاحقة لها نلحظ بوضوح أثر مقام التعجب في مقام الاستغراب ، فقوله تعالى على لسان إخوة يوسف ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ ﴾ فيها من المؤكدات التي يدل وجودها على أمر مهم وهو الاستغراب حيث أكدت الجملة بـ (أنّ) و (لام الابتداء) الذي يراد به التوكيد وفي هذه المؤكدات اختصارا على تكرار الجملة فكل مؤكد يحل محل تكرار الجملة مرّة أخرى فالمؤكدات جاءت عوضا عن تكرار الجملة ولولاها لكان التعبير (أنت يوسف أنت يوسف أنت يوسف) ، فـ (إنّ) أغنت عن تكرار الجملة مرّة ، و (اللام) أغنت عن تكرارها مرّة أخرى وفي هذا الأمر اختصار ناتج عن استغرابهم من معرفة أخوهم يوسف ، فضلا عن ذلك فإن في التوكيد من أمر الدهشة والاستغراب والعجب الذي حصل منهم لمعرفة أخوهم وتحققهم من معرفته وهذا الأمر لم يكن مجردا من التعجب الذي قاد الى الاستغراب الذي حصل منهم[٦٣].

رابعا : أثر مقام التعجب في مقام التوبيخ

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [يوسف] سياق الآية الكريمة في بيان حال سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ وهو يعاني من ألم فراق فلذة كبده سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ وهو يقص على أبناء أولاده معاناته من ألم الفراق الذي طال بهم وهم في مظنة أن يوسف قد مات وما زال جدهم يتذكره بعد فراق طال أكثر من عشرين سنة وفي كل يوم يزداد شوقه له وتزداد عليه مرارة الفراق وهم لم يعوا ما يعانيه جدهم من هذا الفراق ، حتى ظهر عليهم أمر التعجب الذي ساقهم الى توبيخ سيدنا يعقوب بوصفهم له بالضلال القديم وقد ظهر هذا بوضوح في سياق الآية الكريمة مع سابقتها ولاحقتها ويمكن تتبع هذا السياق من خلال القرائن التي تحدد هذان المقامان ـ مقام التعجب ومقام التوبيخ ـ كان في مقدمتها القسم بالتاء فقولهم ﴿ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾ وهذا القسم ((يعني من ذكر يوسف ولا تنساه ؛ لأنه كان عندهم أن يوسف قد مات وهلك ويرون أن يعقوب قد لهج بذكره فلذلك قالوا : تالله أنك لفي ضلالك القديم من ذكره))[٦٤] ، مؤكدين كلامهم بعد القسم بتتابع المؤكدات في كلامهم ؛ لأن الخبر عندهم انكاري لتتابع أنواع المؤكدات فهم كانوا ينكرون أخبار سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ بأنه يشم رائحة سيدنا يوسف فزاد انكارهم لذلك بأن جاءوا بالمؤكدات[٦٥] ، ومما يؤكد مقام التعجب مجيء القسم بالتاء في سياق التعبير القرآني على لسان أحفاد سيدنا يعقوب بقوله تعالى : (تالله) أي ((قالوا أي السامعون له ما ظنه بهم مقسمين بما يدل على تعجبهم وهو (تالله) أي الملك الأعظم وأكدوا لمعرفتهم أنه ينكر كلامهم وكذا كل من يعرف كماله))[٦٦] ، وقرائن مقام التوبيخ التي تنسحب من مقام التعجب واضحة في سياق الآيات الكريمة التي جاء بها التعبير القرآني من أهمها المجيء بحرف الجر (في) الذي يراد به الظرفية بدلا من حرف الجر (على) حيث ظهر على هذا الاستعمال معنى التوبيخ فـ ((الظرفية مجاز في قوة الاتصاف والتلبس وأنه كتلبس المظروف بالظرف والمعنى أنك مستمر على التلبس بتطلب شيء من غير طريقه أرادوا طمعه في لقاء يوسف عليه السلام))[٦٧] ، ومن القرائن التي تظهر مقام التوبيخ الذي حصل من أولاد أبناء سيدنا يعقوب وصفهم له بالضلال القديم حيث ((كان خطابهم إياه بهذا مشتملا على شيء من الخشونة إذ لم يكن أدب عشيرته منافيا لذلك في عرفهم))[٦٨] ، ويندرج مقام التوبيخ مع سابقة آية القسم بالتاء ولاحقتها من خلال ما جاء في التعبير القرآني من استعمال المؤكدات على لسان سيدنا يعقوب في قوله تعالى : ﴿ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ حيث أكد الخبر بـ (إن) و (اللام) ؛ لأن هذا الخبر مظنة الانكار عندهم ، وكذلك في جواب (لولا) إذ التقدير (لتحققتم) فهذا الحذف فيه دلالة التأكيد أيضا [٦٩] فجيء بهذه المؤكدات حتى يؤكد لأولاد أبناءه صحة الخبر الذي هم ينكرونه ويوبخنه عليه ، وكذلك دلالة التفنيد المتعددة في التعبير القرآني فهي تبين أثر التعجب في توبيخهم لجدهم فهي تحمل دلالات مختلفة وهي (لولا أن تسفهون) و (لولا أن تكذبون) و (لولا أن تصفعون) و (لولا أن تلوموني)[٧٠] ، حيث أفاد التفنيد ((النسبة الى الفند وهو الخرف وإنكار العقل من هرم))[٧١] ، فكان مجيء التعبير القرآني للتفنيد ؛ لأنه ((تفرّس فيهم أنهم يبسطون لسان الملامة فلم ينجع فيهم قوله فزادوا في الملامة فقالوا : ﴿ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾ قرنوا كلامهم بالشتم ولم يخشوا أباهم ولو يراعوا حقه في المخاطبة فوصفوه بالضلال في المحبة))[٧٢] ، وفي حذف ياء المتكلم من الفعل تفندون للتخفيف[٧٣] ، لأن المقام ضاق بسيدنا يعقوب لما حصل له من أولاد أبناءه ، وكان نتيجة ما حصل له منهم قال سيدنا يعقوب (لأجد) بدلا من (أشم) ؛ لأن ((الوجدان ظهور من جهة إدراك يستحيل معه انتفاء الشيء))[٧٤] ، ومما يعضد أثر التعجب في التوبيخ استعمال التعبير القرآني للفعل المطاوع (ارتد) بدلا من (رد) وفيه معنى التعجب واضح إذ لا يظهر هذا المعنى لو كان الفعل مجردا حيث أفاد الفعل المطاوع ((انقلاب الشيء الى حالة قد كان عليها وقوله : فارتد بصيرا أي صيره الله بصيرا))[٧٥] ، فناسب هذا الاستعمال المجي بصيغة المبالغة (بصيرا بدلا من مبصرا)[٧٦]

خامسا : أثر مقام التعجب في مقام التهديد

﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [النحل] سياق الآية الكريمة في بيان أحوال المشركين حيث بين الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيه قبائح أعمال المشركين وعباداتهم لغير الله من الأصنام والأوثان وقد ظهر هذا التنديد بهذه العبادات بمقام التعجب وأول ما يطالعنا هو القسم بالتاء حيث جاء التعبير القرآني بقوله تعالى : تالله إذ ((أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة ليسألنهم عن ذلك الذي افتروه وأتفكوه وليقابلنهم عليه

وليجازينهم أوفر الجزاء في نار جهنم فقال : ﴿ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾))[٧٧] ، فالسؤال لم يكن للاستعلام أو الاستفهام عن أمر بل هو إلزام للحجة وفيه تهديد شديد لهم ليوبخهم على ما هم فيه فجاء السؤال لتقريعهم وتوبيخهم[٧٨] ، وقد جرَّ مقام التعجب الى مقام التهديد الذي حصل من الله تعالى الى المشركين ؛ لأن ((القسم بالتاء يختص بما يكون المقسم عليه أمرا عجيبا ومستغربا ... فالإتيان في القسم هنا بحرف التاء مؤذن بأنهم يسألون سؤالا عجيبا بمقدار غرابة الجرم المسؤول عنه))[٧٩] ، ومن مظاهر مقام التهديد الذي انجر من التعجب في سياق الآية الكريمة الالتفات من الغيبة الى المخاطب ، وهذا الالتفات هو ((المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى))[٨٠] ، ونظرا لما في سياق الآية الكريمة من تعجب جرّ الى التهديد فقد نزّه الله تعالى نفسه حيث أفادت الجملة الاعتراضية بقوله تعالى (سبحانه) التنزيه لله تعالى من كل سوء[٨١] ، قال الزمخشري في بيان دلالة الجملة الاعتراضية ((تنزيه لذاته من نسبة الولد إليه أو تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين))[٨٢] ، وأكد القاسمي قول الزمخشري فائدة الجملة الاعتراضية الى معنى التعجب قائلا : ((وقد نزه مقامه الأقدس عن ذلك بقوله : (سبحانه) أي عن إفكهم وقولهم ، وفيه تعجب من جراءتهم عن التفوه بهذا المنكر من القول ومن مقاسمتهم لجلاله بالاستئثار))[٨٣] ، ومما يعضد مقام التهديد الذي أنبنى على التعجب التقديم والتأخير فقد قدم الاعتراض (سبحانه) على قوله تعالى (ما يشتهون) ((ليكون نصا في أن التنزيه عن هذا الجعل لذاته وهو نسبة البنوة لله لا عن جعلهم له خصوص البنات دون الذكور الذي هو أشد فظاعة))[٨٤] ، وفي تقديم الخبر على المبتدأ في قوله تعالى : (ولهم ما يشتهون) هو ((للاهتمام بهم في ذلك عن طريق التهكم))[٨٥] ، ويظهر ملمح مقام التعجب في قوله تعالى : ﴿ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ حيث جاء التعبير القرآني به دون أن يقال : (عما تفترون) ، أو (عما افتريتم) فكان ((الاتيان بفعل الكون وبالمضارع للدلالة على الافتراء كان من شأنهم وكان متجددا ومستمرا منهم فهو أبلغ من أن يقال: عما تفترون وعما افتريتم))[٨٦] ، وفي حذف المتهدد في التعبير القرآني في قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ففيه تهديد بسوء المنقلب حيث كان هذا الحذف ((أبلغ وأهول لذهاب النفس في تعينه كل مذهب))[٨٧] .

سادسا : أثر مقام التعجب في مقام التسلية

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النحل سياق الآية الكريمة في تسلية الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفيها أخبار له ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما تقدمه من الأمم عندما أرسل الله تعالى إليهم من مرسلين ومبشرين وما حصل لهم من سلوك أقوامهم من ضلال وعدم الهدى فكان حاله كحال تلك الأمم ثم بيَّن الله تعالى بأن هذا الأمر لم يعجزه ويظهر على جو الآية الكريمة مقام التعجب من أحوال الذين سوّل لهم الشيطان أعمالهم بأن كانوا أولياء للشيطان ، قال الطاهر بن عاشور : ((وشأن التاء المثناة أن تقع في قسم على مستغرب مصبّ القسم هنا هو المفرد بقوله تعالى : ﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ ؛ لأن تأثير تزيين الشيطان لهم أعمالهم بعد ما جاءهم من إرشاد رُسُلهم أمر عجيب))[٨٨] ، فكان القسم بالتاء المراد منه التعجب هو تسلية لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما رافقه من ألم جهالات قومه باتباع أهواءهم التي تسول لهم أنفسهم من تزين الشيطان لهم وينجر مع مقام التعجب في تسلية الرسول أن وبخهم على وجه السخرية من خلال المجيء بلفظ (وليهم) في قوله تعالى : ﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾[٨٩] ، وكذلك في حصر الولاية للشيطان دون غيره مبالغة في أمر في توبيخهم من أجل تسلية الرسول الكريم يقول أبو السعود في بيان قوله تعالى (فهو وليهم) ((الولي بمعنى الناصر أي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة في نفي الناصر عنهم))[٩٠] ، وكذلك مجيء التعبير القرآني بلفظ (اليوم) في قوله تعالى : ﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ إذ جاء على صورة الحال المستحضرة هذا ليكون من الحضور الخارجي الى الحضور الذهني حيث أفاد هذا الاستعمال استمرارية ولاية الشيطان للكافرين الى زمن المتكلم مطلقا من غير قصد التي توضح حدوده بأنه يكون على طيلة اليوم الذي يبدأ من طلوع الفجر وينتهي بغروب الشمس[٩١] ، فجاء التعبير القرآني بذكر (اليوم) إذ ((حدد بصورة الحال ليستحضر السامع تلك الصورة العجيبة ويتعجب منها ويسمى مثل هذا حكاية الحال الماضية وهي استعارة من الحضور الخارجي الى الحضور الذهني والمراد به مدّة الدنيا ؛ لأنها كلها كالوقت الحاضر بالنسبة للأخرة وهي شاملة للماضي والآتي وما بينهما))[٩٢]

سابعا : أثر مقام التعجب في مقام التحسر والندم

﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الشعراء] سياق الآية الكريمة في بيان أحوال المشركين وما يعبدون من أصنام وهم يُلقون في نار جهنم كلهم نتيجة ضلالهم ، ويظهر على سياق الآية الكريمة مقام التعجب من خلال القسم بالتاء في قوله تعالى : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ فكان تصدير قولهم بالقسم بحرف التاء مشعر في شيء قد تعجب منه ، فهم متعجبون من ضلالهم ؛ لأنهم علقوا آمالهم المعونة والنصر بحجارة لا تغنيهم عن أي شيء[٩٣] ، ومما يعضد مقام التعجب مقولتهم بحرف الجر (في) الذي يراد به الظرفية حيث أفاد هذا الحرف من تمكن الظرف في المظروف أي تمكن الضلال فيهم[٩٤] ، وفي وصفهم الضلال بالمبين في قوله تعالى :﴿ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ إظهار ندمهم وتحسرهم على خطئهم بعبادة غير الله ـ سبحانه وتعالى ـ وقد وضح الألوسي هذا المعنى قائلا : ((ووصفهم له بالوضوح للمبالغة في إظهار ندمهم وتحسرهم وبيان خطئهم في رأيهم مع وضوح الحق))[٩٥] ، ومعنى التعجب واضح من خلال مجيء الفعل (نسويكم) على صيغة المضارع ؛ لأنه استحضر الحال الماضية التي فيها تسوية عبادة الأصنام بعبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وقد بيّن الطاهر بن عاشور دلالة الفعل المضارع على معنى التعجب قائلا :((صيغة المضارع لاستحضار الصورة العجيبة حين يتوجهون الى الأصنام بالدعاء والنعوت الالهية))[٩٦] ، وهذا من أكبر الفضائح والعيوب على الكافرين وهم يعترفون بأنفسهم بأشنع أنواع الكفر تسويتهم في استحقاق العبادة[٩٧] ، وفي المجيء بضمير الخطاب (نسويكم) للأصنام يقودهم الى التحسر وفي هذا قال البيضاوي : ((والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى أنهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها))[٩٨] ، وأما الطاهر بن عاشور فقد بيّن فائدة ضمير الخطاب في (نسويكم) قائلا : ((وضمير الخطاب في نسويكم موجه الى الأصنام وهو من توجيه المتندم الخطاب الى الشيء الذي لا يعقل وكان سببا في امر الذي جُرّ إليه الندامة بتنزيله منزلة من يعقل ويسمع والمقصود من ذلك المبالغة في توبيخ نفسه))[٩٩] ، وأمّا قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ فهذا أخبار من الكفار يراد منه التحسر والتوجع بينوا من خلاله بأن لا شفاعة لهم[١٠٠] ، ومما يعضد مقام التعجب إلقاء الكفرة في النار بشكل يتعجب منه حيث جاء الفعل على هيأة المضعف بقوله تعالى : (كبكبوا) ودلالته ((الكبكبة تكرير الكب جعل التكرار في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرّة بعد مرّة حتى يستقر في قعرها))[١٠١] ، وفي بناء الفعل (برز) للمجهول في قوله تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ فائدة حيث ((أبهم القائل ليصلح لكل واحد تحقيرا لهم ؛ لأن المكنى نفس القول لا كونه من معيّن))[١٠٢] ، وفي إفراد الصديق ووصفه بالحميم في قوله تعالى : ﴿ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ فائدة يراد بها التأسف والتحسر ، قال البقاعي في بيان هذا ((ولما كان الصديق قد لا يكون أهلا ؛ لأن يشفع قالوا تأسفا على أقل ما يمكن ولا صديق أي يصدق في ودنا ليفعل ما ينفعنا ولما كان أصدق الصداقة ما كان من الغريب قال : حميم أي قريب ... وأفرد تعميما للنفي وإشارة الى قلته في حدّ ذاته أو عدمه))[١٠٣] ، ومما يعضد مقام التحسر الذي ينجر من مقام التعجب قوله تعالى : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ إذ جاءت (لو) التي يراد بها التمني إذ أفادت نكتة مفادها ((هذا منهم على طريق التمني الدال على كمال التحسر كأنهم قالوا : فليت لنا كرّة أي رجعة الى الدنيا))[١٠٤] ، وفي تقديم ذكر ألهتهم عن ذكرهم زيادة في الهم الذي يقود الى تحسرهم وغمهم ففي ((تأخيرهم عن ذكر ألهتهم رمز الى انهم مؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالهم فيزدادوا غما على غم))[١٠٥]

ثامنا : أثر مقام التعجب في مقام السخرية والاستهزاء

﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنبياء] .

سياق الآية الكريمة يبين موقف سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ من عبادة قومه للأصنام حيث كان لهم يوم يخرجون به ويقدمون للأصنام الطعام والشراب وبعد رجوعهم يأكلون ما قُدم للأصنام تبركا به حيث ذهب سيدنا إبراهيم مع قومه وفي منتصف الطريق قال إني سقيم فرجع

لينال من أصنامهم التي كانوا يعبدونها فجاء التعبير القرآني على لسانه بقوله تعالى : ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ إذ في هذا القسم معنى التعجب وقد وضحه الزمخشري قائلا : ((التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب ، كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه ؛ لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره ، ولعمري إن مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصاً في زمن نمرود مع عتوّه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن إِذَا اللَّهُ سَنَّى عِقْدَ شَيْءٍ تَيَسَّرا))[١٠٦] ، وينبني على مقام التعجب من خلال القسم بالتاء مقام السخرية حيث يظهر هذا المقام من خلال الاستعمالات الموجدة في التعبير القرآني من بينها الاستعمال القرآني للفظ (الكيد) ودلالة هذا اللفظ أنه يفيد الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به ، وقد أفاد هذا الاستعمال في زيادة الغم وإنزاله في عبادة الأصنام ومثل هذا الأمر يحدث عندما يكون المقابل قد سخر منهم بإنزال الغم فيهم[١٠٧] ، فجاء التعبير القرآني باستعمال لفظ الكيد في تكسير الأصنام ((لِاعْتِقَادِ الْمُخَاطَبِينَ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْأَصْنَامَ تَدْفَعُ عَنْ أَنْفُسِهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمَسَّهَا بِسُوءٍ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْكَيْدِ))[١٠٨] ، ومن القرائن التي تظهر مقام السخرية في التعبير القرآني إقامة المظهر مقام المضمر في قوله تعالى : ﴿ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ ﴾ دون الإشارة (من فعل بهولاء) وهذا الاستعمال يفيد المبالغة في التشنيع[١٠٩] ، وفي هذا الاستعمال كان لإبراهيم دليل على ((جرأته على إهانتها وهي الجديرة عندهم بالتعظيم أو لإفراطه في التجذيذ والحطم وتماديه في الاستهانة بها))[١١٠] ، ومما يظهر مقام السخرية من قبل سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ ما فعله بآلهتهم تعظيمهم لها بأنهم قالوا : (جذاذا) في قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا ﴾ ((وَهَذَا جَمْعٌ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِالنَّاسِ، جَوَابُهُ: مِنْ حَيْثُ اعْتَقَدُوا فِيهَا أَنَّهَا كَالنَّاسِ فِي أَنَّهَا تُعَظَّمُ وَيُتَقَرَّبُ إِلَيْهَا، وَلَعَلَّ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ))[١١١] ، ومن القرائن التي توضح مقام السخرية من خلال التبكيت الذي جاء في التعبير القرآني في قوله تعالى : ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ فالسخرية قد ظهرت بوضوح من خلال هذا التعبير عندما نسب سيدنا إبراهيم ان فعل التحطيم حصل من كبير الأصنام وطلبه منهم بإجابة الأصنام لهم عما حصل لهم ، ومن مظاهر السخرية اللاذعة التي تجلت في التعبير القرآني عندما نسب فعل التحطيم الى الصنم الأكبر عندما سألوه بقوله تعالى : ﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ ((أنّ قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم ، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم ، وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط : أأنت كتبت هذا وصاحبك أمّيّ لا يحسن الخطّ ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة ، فقلت له : بل كتبته أنت ، كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به ، لا نفيه عنك وإثباته للأمّيّ أو المخرمش ، لأنّ إثباته والأمر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به وإثبات للقادر ، ولقائل أن يقول : غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة ، وكان غيظ كبيرها أكبر وأشدّ لم رأى من زيادة تعظيمهم له . فأسند الفعل إليه لأنه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها))[١١٢] ، ومما يظهر مقام القدرة لسيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ في التشنيع والسخرية من تحطيم تلك الأصنام وجعلها جذاذا قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ ((اي جهرة ، والناس ينظرون إليه نظراً لا خفاء معه حتى كأنه ماشٍ على ابصارهم ، متمكناً منها تمكن الراكب على المركوب))[١١٣] ، هكذا اندرج تحت مقام التعجب مقام السخرية من خلال القسم بالتاء حيث لائم القسم بالتاء الموقف الذي فيه سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ ليعبر عن حالته النفسية التي كان فيها فقد كان موقفه موقف غضب وانفعال من قومه لعبادتهم الأصنام وكفرهم بالله سبحانه وتعالى ليتولد من هذا الموقف المشحون بالغضب والانفعال الطاقة في تسهيل الكيد وتيسيره على يده من إرادة السوء بهذه الأحجار المعبودة حتى جعله يسخر منها ويستهزئ بها مما جعله يحطمها حتى جعلها جذاذا .

تاسعا : أثر مقام التعجب في مقام الفرح والسرور

﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الصافات] .سياق الآية الكريمة يبين حال المؤمن وقرينه الكافر الذي كان في اعتقاده أنه لا يحاسب بعد موته ، فيتفقده المؤمن وهو على كمال سروره طالبا من أصحابه الاطلاع على حال قرينه الكافر فإذا هو في النار وفي أسوء حال في الجحيم ، فتعجب المؤمن من سوء حال الكافر الذي كان أن يتورط معه فيوقعه في الهلاك الذي هو فيه فقال له المؤمن متعجبا من الحال الذي هو فيه ﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ ﴾ حيث أفاد القسم معنى التعجب من سلامته من قرينه إذ قارب أن يرد به فيوقعه بالعذاب في النار[١١٤] ، فـ ((ساقه في أسلوب القسم

تنبيها على التعجب من سلامته منه فقال : تالله))[١١٥] ، ووضح الطاهر بن عاشور مقام التعجب من خلال القسم بالتاء قائلا : ((والقسم بالتاء من شأنه أن يقع فيما جوابه قسمه غريب ... ومحل الغرابة هو خلاصه من شيكة قرينه واختلاف حال عاقبتهما مع ما كان عليه من شدّة الملازمة والصحبة وما حقه من نعمة الهداية وما تورط قرينه في أوحال الغواية))[١١٦] ، وجاء هذا التعجب بأسلوب التوكيد حتى يكون غاية في الترغيب والثبات لمن كان قريبا من التزلزل والابتعاد عن قرين السوء[١١٧] ، ومما يعضد مقام التعجب ما جاء به التعبير القرآني بقوله تعالى : (لتردين) وأصل استعمال هذه اللفظة في الموت غير أنها جاءت في الاستعمال القرآني بمعنى سوء الحال فهو لفظ استعير من الموت الى سوء الحال للمشابهة ؛ لأن الموت من أعظم المصائب التي يصاب بها الإنسان فدلت على التعجب حيث أفادت دلالة التعجب وضحها الطاهر بن عاشور قائلا : ((إنك قاربت أن تفضي بي الى حال الردى بإلحاحك في صرفي عن الإيمان بالبعث لفرط الصحبة ولولا نعمة هداية الله وتثبته لكنت من المحضرين معك في العذاب))[١١٨] ، ومما يعضد مقام الفرح والسرور الذي قام على مقام التعجب قول المؤمن للكافر : ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ ﴾ ((إنّما خاطب المؤمن أهل الجنة بهذا على طريق الفرح بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام ؛ لأنه قد علم أنهم ليسوا بميتين ولكن أعاد الكلام ليزداد بتكراره على سمعه سرورا ... فليعمل العاملون وهذا ترغيب في طلب ثواب الله عز وجل بطاعته))[١١٩] فهو ((استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله تعالى من تأييد الحياة وعدم التعذيب))[١٢٠] ، وهو بهذا قد يكون توبيخا من قبل المؤمن للكافر بما كان ينكره[١٢١] ، ومما يعضد مقام الفرح والسرور على المؤمن مجيء الاستفهام الى معنى الفرح في قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ كما وضح هذا الألوسي بقوله : ((رجوع الى محاورة جلسائه بعد إتمام الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما أتاح الله تعالى له من الفضل العظيم والنعيم المقيم وتعريضا للقرين بالتوبيخ))[١٢٢] ، حتى ختم مقام الفرح والسرور للمؤمن بالمؤكدات ـ إنّ واللام وضمير الفصل ـ ليكتمل فرحه وسروره بقوله تعالى :﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠ ﴾

الخاتمة

في نهاية دراسة بحث (القسم بالتاء بين مقام التعجب والمقامات الأخرى في القرآن الكريم) أود أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها :

١: القسم بالتاء مقيّد بلفظ الجلالة والغرض منه مقام التعجب . ٢: تتعاقب المقامات في النص القرآني فيأتي مقام على أثر مقام آخر . ٣: تتظافر القرائن فيما بينها من أجل كشف المعنى المراد الذي يقتضيه السياق . ٤: يعد السياق بنوعيه الداخلي والخارجي من أهم قرائن كشف المعنى . ٥: يعد السياق ركيزة من الركائز التي أعتمدها العلماء في توجيه النص القرآني .

الهوامش

[١] : ينظر: الكتاب :١٠٤/٣ ، اللباب في علل البناء والإعراب : ٣٧٣/١ ، شرح المفصل لابن يعيش : ٩٠/٩ .

[٢] : شرح التسهيل : ٣٠٦٦/٦ .

[٣] : ينظر : الأساليب الانشائية في النحو العربي : ١٦٨ ـ ١٧٠ ، والنحو الوافي : ٤٧٧/٢ ـ ٥٠١ .

[٤] : ينظر :علل النحو : ٢١١ ، واللباب في علل البناء والإعراب : ٣٧٣/١ .

[٥] : اللباب في علل البناء والإعراب : ٣٧٥/١ .

[٦] : همع الهوامع : ٤٧٩/٢ .

[٧] : ينظر : المصدر نفسه : ٤٧٩/٢ .

[٨] : اللمحة في شرح الملحة : ٢٦٣/١ .

[٩] : الكتاب : ٤/ ٤٩٧ .

[١٠] : ينظر : الكتاب : ٤٧٩/٣ ، والأصول في النحو : ٤٣٠/١ ، والمفصل : ٢٨٤ ، والبيت في ديوان الهذلين : ١٢٤/١ برواية أخرى وقد أشار الى الرواية التي اثبتناها ورواية البيت الأخرى : تالله يبقى على الأيام مبتقلجون السراة رباع سنّه غَرِد

[١١] : ينظر : الأصول في النحو : ٤٣٠/١ ، والمفصل في صنعة الاعراب : ٤٨٤ ، وشرح المفصل لابن يعيش : ١٠٠/٩

[١٢] : شرح المفصل : ١٠٠/٩ .

[١٣] : الجملة العربية والمعنى : ٥٦ .

[١٤] : البيان والتبين : ١/ ١٣٨ ـ ١٣٩ .

[١٥] : مفتاح العلوم : ١٦٨ .

[١٦] : البرهان في علوم القرآن : ١١٨/٢ ـ ١١٩ .

[١٧]: تحفة الغريب في الكلام على مغني اللبيب : ٨٤٦ ، وينظر : الجنى الداني : ١٩٦ ، وهمع الهوامع : ١٩١/٣ .

[١٨] : ينظر : كشف المعاني في المتشابه المثاني : ٣١٦ ــ ٣١٧ .

١٩: ينظر : البحر المحيط : ٤٢٥/٧ ، والسراج المنير : ٥٥٤/٣ .

٢٠: ينظر : البحر المديد : ٤٣٠/٦ .

٢١: ينظر : زاد المسير : ٢٧/٤ .

[٢٢] : حاشية ياسين على شرح التصريح : ١٤٠/١ .

[٢٣] : ينظر : البحر المحيط : ٢٠٠/٣ ، والدر المصون : ٣٢٩/٢ .

[٢٤] : ينظر : نظم الدرر : ٢٢٤/٢ .

[٢٥] : تفسير أبي السعود : ١٠٩/٢ .

[٢٦] : معجم المصطلحات النحوية والصرفية : ١٨٦ .

[٢٧] : ينظر : الجملة العربية والمعنى : ٥٣ ـ ٦١ .

[٢٨] : ينظر : المصدر نفسه : ٥٦ .

[٢٩] : أحكام الأحكام : ٢٧٨ .

[٣٠] : البرهان في علوم القرآن : ٢٠٠/٢ .

[٣١] : ينظر : زاد المسير : ٤٥٨/٢ .

[٣٢] : تفسير النسفي : ١٢٥/٢ .

[٣٣] : روح البيان : ٢٩٩/٤ .

[٣٤] : التحرير والتنوير : ٢٩/١٣.

[٣٥] : فتح القدير : ٤٣/٣ .

[٣٦] : ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٥٧/٣ .

[٣٧] : المثل السائر : ١٧٣/٢ .

[٣٨] : غرائب التفسير وعجائب التأويل : ٥٤٥/١ .

[٣٩] : زاد المسير : ٤٥٨/٢ .

[٤٠] : ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٤/٩ .

[٤١] : ينظر : الكشاف : ٤٦٢/٢ .

[٤٢] : ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣٧٨/٣ ، والاتقان في علوم القرآن : ٣٠/٣ .

[٤٣] : تفسير الرازي : ٤٩٩/١٨ .

[٤٤] : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية : ٩/٢ .

[٤٥] : خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني : ١٥٧ .

[٤٦] : مقاييس اللغة (حرض) : ٤١/٢ .

[٤٧] : المحرر الوجيز : ٢٨١/٣ .

[٤٨] : الاتقان في علوم القرآن : ٢٩٩/٣ ، وينظر : معترك الإقران : ٢٩٥/١ .

[٤٩] : ينظر : معاني النحو : ١٦٤/٣ .

[٥٠] : التحرير والتنوير : ٤٤/١٣ .

[٥١] : ينظر : تفسير الثعالبي : ٢٥٠/٥ ، وزاد المسير : ٤٦٥/٢ .

[٥٢] : ينظر : المحرر الوجيز : ٢٨١/٣ .

[٥٣] : ينظر : التبيان في تفسير غريب القرآن : ٢٠٠ .

[٥٤] : التحرير والتنوير : ١٣ /٤٤ .

[٥٥] : ينظر : تفسير النسفي : ١٢٩/٢ .

[٥٦] : ينظر : التحرير والتنوير : ٤٢/٣ .

[٥٧] : ينظر : المصدر نفسه : ٤٣/٣ .

[٥٨] : مغني اللبيب : ٢٢٩ ، وينظر : الجنى الداني : ١٣٥ .

[٥٩] : ينظر : النكت والعيون : ٧٥/٣ .

[٦٠] : المحرر الوجيز : ٢٨٤/٣ .

[٦١] : المصدر نفسه : ٢٣٨/٣ .

[٦٢] : تفسير الألوسي : ٤٨/٧ .

[٦٣] : ينظر : التحرير والتنوير : ٤٩/١٣ .

[٦٤] : تفسير الخازن : ٣١٥/٣ .

[٦٥] : ينظر : صفوة التفاسير : ٤٦/٢ .

[٦٦] : نظم الدرر : ٩٦/٤ .

[٦٧] : التحرير والتنوير : ٥٤/١٣ .

[٦٨] : المصدر نفسه : ٥٤/١٣ .

[٦٩] : التحرير والتنوير : ٥٢/١٣ .

[٧٠] : ينظر : النكت والعيون : ٧٧/٣ .

[٧١] : تفسير النسفي : ٢/ ١٣٣.

[٧٢] : لطائف الإشارات : ٢٠٦/٢ .

[٧٣] : ينظر : التحرير والتنوير : ٥٢/١٣ .

[٧٤] : نظم الدرر : ٩٦/٤ .

[٧٥] : تفسير الرازي : ١٨/ ٥٠٨ .

[٧٦] : ينظر : البحر المحيط : ٣٢٤/٦ .

[٧٧] : تفسير ابن كثير : ٥٧٧/٤ .

[٧٨] : ينظر : تفسير الرازي : ٢٢٤/٢٠ ، وتفسير السمعاني : ١٧٩/٣ ، واللباب في علوم الكتاب : ٨٧/١٢ .

[٧٩] : التحرير والتنوير : ١٨١/١٤ .

[٨٠] : تفسير أبي السعود : ١٢١/٥ .

[٨١] : ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٢٠٥/٣ .

[٨٢] : تفسير الكشاف : ٥٧٢/٢ ، وينظر : تفسير النسفي : ٢١٨/٢ .

[٨٣] : تفسير القاسمي : ٣٧٩/٦ .

[٨٤] : التحرير والتنوير : ١٨٢/١٤ .

[٨٥] : المصدر نفسه : ١٨٣/١٤ .

[٨٦] : تفسير أبي السعود : ١٢١/٥ .

[٨٧] : التحرير والتنوير : ١٨١/١٤ .

[٨٨] : التحرير والتنوير : ١٩٤/١٤ .

[٨٩] : ينظر : تفسير الرازي : ٢٣٠/٢٠ ، واللباب في علوم الكتاب : ٩٦/١٢ .

[٩٠] : تفسير أبي السعود : ١٢٣/٥ ، وينظر : تفسير القاسمي : ٣٨٢/٦ .

[٩١] : ينظر : التحرير والتنوير : ١٩٥/١٤ .

[٩٢] : بيان المعاني : ٢٣١/٤ .

[٩٣] : ينظر : تفسير أبي السعود : ٢٥٢/٦ ، والتحرير والتنوير : ١٥٣/١٩ .

[٩٤] : ينظر : التحرير والتنوير : ١٥٣/١٩ .

[٩٥] : ينظر : تفسير أبي السعود : ٥٥٢/٦ ، وتفسير الألوسي : ١٠١/١٠ .

[٩٦] : التحرير والتنوير : ١٥٤/١٩ .

[٩٧] : ينظر : لطائف الإشارات : ١٦/٣ .

[٩٨] : تفسير البيضاوي : ١٤٣/٤ .

[٩٩] : التحرير والتنوير : ١٥٤/١٩ .

[١٠٠] : ينظر : المصدر نفسه : ١٩ /١٥٤ .

[١٠١] : الكشاف : ٣٢٧/٣ ، وينظر : تفسير البيضاوي : ١٤٣/٤ .

[١٠٢] : نظم الدرر : ٣٧١/٥ ـ ٣٧٢ .

[١٠٣] : المصدر نفسه : ٣٧٢/٥ ـ ٣٧٣ .

[١٠٤] : فتح القدير : ١٠٧/٤ .

[١٠٥] : البحر المديد : ٢٦٦/٥ .

[١٠٦] : الكشاف : ١٢٣/٣ ، وينظر : تفسير النسفي : ٤٠٩/٢ ، والبحر المحيط : ٤٤٤/٧ .

[١٠٧] : ينظر : تفسير الرازي : ١٥٣/٢٢ .

[١٠٨] : التحرير والتنوير : ٩٧/١٧ .

[١٠٩] : ينظر : تفسير أبي السعود : ٧٤/٦ .

[١١٠] : تفسير القاسمي : ٢٠١/٧ .

[١١١] : تفسير الرازي : ١٥٤/٢٢ .

[١١٢] : الكشاف : ١٢٥/٣ .

[١١٣] : نظم الدرر : ٩٢/٥ .

[١١٤] : ينظر : البحر المحيط : ١٠٥/٩ .

[١١٥] : نظم الدرر : ٣١٣/٦ .

[١١٦] : التحرير والتنوير : ١١٧/٢٣ ـ ١١٨ .

[١١٧] : ينظر : نظم الدرر : ٣١٣/٦ .

[١١٨] : التحرير والتنوير : ١١٨/٢٣ .

[١١٩] : زاد المسير : ٥٤٢/٣ .

[١٢٠] : السراج المنير : ٣٧٩/٣ .

[١٢١] : ينظر : تفسير الثعلبي : ١٤٥/٨ .

[١٢٢] : تفسير الألوسي : ٩٠/١٢ .

ثبت المصادر

ـ الاتقان في علوم القرآن : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ =١٩٧٤ م .

ـ إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام : تقي

الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) ، تحقيق : مصطفى شيخ مصطفى و مدثر سندس ، مؤسسة الرسالة ، ط/١ ، ١٤٢٦ هـ = ٢٠٠٥ م .

ـ الأساليب الانشائية في النحو العربي : د. محمد عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط/٥ ، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠١ م .

ـ الأصول في النحو : أبو بكر محمد بن السري بن سهل المعروف بابن السراج (ت ٣١٦هـ) ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت .

ـ البحر المحيط :محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت ، ط/١ ،١٤٢٢ هـ =٢٠٠١ م. ـ البحر المديد : أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ) ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط/٢ ، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م .

ـ البرهان في علوم القرآن : أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، ط/١ ، ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧م .

ـ البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط/٧ ، ١٤١٨هـ = ١٩٨٨ م .

ـ بيان المعاني: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت ١٣٩٨هـ) ، مطبعة الترقي – دمشق ، ط/١ ، ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٥ م .

ـ التبيان في تفسير غريب القرآن : أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس ابن الهائم (ت ٨١٥هـ) ، تحقيق : د ضاحي عبد الباقي محمد ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، ط/١ ، ١٤٢٣ هـ .

ـ التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤ هـ .

ـ تحفة الغريب في الكلام على مغني اللبيب : محمد بن أبي بكر الدماميني (ت٨٢٧هـ) ، دراسة وتحقيق: حيدر كريم كاظم ، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الآداب في جامعة الكوفة ، بإشراف: عبدالكاظم محسن الياسري ، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م .

ـ تفسير ابن كثير المسمى (تفسير القرآن العظيم) : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ) ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط/٢ ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩ م .

ـ تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) : أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ) ، دار إحياء ـ تفسير الألوسي المسمى (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) : شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) ، تحقيق: علي عبد الباري

ـ تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمرالبيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط/١ ، ١٤٢٨هـ . ـ تفسير الثعالبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن): أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ) ، تحقيق : الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط/١ ـ تفسير الثعلبي المسمى (الكشف والبيان عن تفسير القرآن): أبو أسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧هـ) ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ،مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، ط/١ ، ١٤٢٢، هـ = ٢٠٠٢ م .

ـ تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل) : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت ٧٤١ هـ) ، دار الفكر – بيروت / لبنان ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .

ـ تفسير الرازي المسمى (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط/٣ ، ١٤٢٠ هـ .

ـ تفسير السمعاني : المسمى (تفسير القرآن) : أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت ٤٨٩هـ) ، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن، الرياض – السعودية ، ط/١ ، ١٤١٨ هـ = تفسير القاسمي المسمى (محاسن التأويل) : محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي (ت١٣٣٢هـ) ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلميه – بيروت ، ط/١

ـ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ) ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ، دار الكلم الطيب ، بيروت ، ط/١ ، ١٤١٩ = ١٩٩٨م .

ـ الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١ هـ) ، تحقيق: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣ م .

ـ الجملة العربية والمعنى : د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر ، عمّان ، ط/١ ، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م .

ـ الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي (ت ٧٤٩هـ) ، تحقيق: د فخر الدين قباوة و الأستاذ محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط/١ ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م .

ـ حاشية يس على شرح التصريح على التوضيح : للشيخ ياسين بن زين الدين العليمي (ت١٠٦١هـ) ، مطبوع بهامش شرح التصريح على التوضيح لخالد الازهري (ت٩٠٥هـ) ، دار إحياء الكتب العلمية . عيسى البابي الحلبي وشركاه .

ـ خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية : عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (١٤٢٩هـ) ، مكتبة وهبة ، ط/١ ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) ، تحقيق : الدكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق .

ـ ديوان الهذليين : دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٩٩٥م .

ـ روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى المولى أبو الفداء (ت ١١٢٧هـ) ، دار الفكر – بيروت .

ـ زاد المسير في علم التفسير : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط/١ ، ١٤٢٢هـ .

ـ السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير : شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ) ، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ، ١٢٨٥ هـ .

ـ شرح التسهيل المسمى (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد) : محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد المعروف بناظر الجيش (ت ٧٧٨ هـ) ، دراسة وتحقيق : أ.د. علي محمد فاخر وآخرون ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ط/١ ، ١٤٢٨ = ٢٠٠٧م .

ـ شرح المفصل : موفق الدين بن يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) ، المطبعة المنيرية .

ـ صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، ط/١ ، ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧ م علل النحو: محمد بن عبد الله بن العباس ابن الوراق (ت ٣٨١هـ) ، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش ، مكتبة الرشد – الرياض / السعودية ، ط/١ ،

ـ غرائب التفسير وعجائب التأويل : محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرماني ويعرف بتاج القراء (ت نحو ٥٠٥هـ) ، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت .

ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت ١٢٥٠هـ) ، دار الفكر – بيروت

ـ الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر الملقب سيبويه (ت١٨٠هـ) ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

ـ كشف المعاني في المتشابه من المثاني : بدر الدين بن جماعة (ت٧٣٣هـ) ، تحقيق وتعليق: د. عبدالجواد خلف ، جامعة الدراسات

ـ اللباب في علل البناء والإعراب : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت٦١٦هـ) ، تحقيق: د. عبد الإله النبهان ، دار الفكر – دمشق ، ط/١ ، ١٤١٦هـ

ـ اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل (ت ٧٧٥هـ) ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، ط/١ ، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨م .

ـ لطائف الإشارات : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ) ، تحقيق: إبراهيم البسيوني ، الهيأة المصرية العامة للكتاب

ـ اللمحة في شرح الملحة : محمد بن حسن بن سِباع المعروف بابن الصائغ (ت ٧٢٠هـ) ، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، ط/١ ، ١٤٢٤هـ

ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت .

ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ) ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت

ـ معاني القرآن وإعرابه : إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ) ، عالم الكتب – بيروت ، ط/١ معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.

ـ معجم المصطلحات النحوية والصرفية : د. محمد سمير نجيب ، مؤسسة الرسالة ، دار الفرقان ، ط/١ ، ١٤٠٥ = ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط/١ ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : عبد الله بن يوسف بن أحمد جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ) ، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد

ـ مفتاح العلوم : يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط/٢ ،

ـ المفصل في صنعة الإعراب : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق : د. علي بو ملحم ، مكتبة

ـ معجم مقاييس اللغة : أو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون النحو الوافي : عباس حسن (ت ١٣٩٨هـ) ، دار المعارف ، ط/١٥ .

ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٥هـ =١٩٩٥ م .

ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية – مصر .